واولادي وافواني لو ان لي بين اظهركم كل يوم كيله باقلا لما
خرجت من بين اظهركم فلم يتكلف احد ان يتكفل له بها فخرج
من عندهم فانظر الى هولا العلما الاعلام فعدم وصولهم
الى ادنى معيشه من روسا الانام فما كان يصل احد الى عطايا
من بيت المال زمن من الخلفا العباسيين والامويين الا من
يتردد الى الوزير ويلازم بابه ويوافقه على ما يرومه هو
والخليفه من الاغراض الفاسده ومن يتردد مرارا ليلا ونهارا
على مجالس الخلفا وينشد الاشعار ويطارح الاخبار ويبذل
نفسه اثنا الليل واطراف النهار وغالب اعيان العلما والايمه
يتحاشون عن ذلك وعلى تقدير انه لا يتحاشى عن ذلك
يخشى انه اذا تردد على الاماثل من الخلفا والسلاطين ونحوهم
لا يخف على خواطرهم ولا يتجرع على قلوبهم فيزداد منهم
ابعادا وطردا اعلم ذلك ما كان الواحد منهم يجد قوته بل
يموت جوعا ولم يشعر به احد كما وقع للقايل

يا اهل بغداد جيت ان صلتكم ... عن نيلها بالانام منقبضه
تقدموت الخبز اعندكم ... اكلت كتبي كانني ارضه

وكان اذا غسل ثوبه لم يجد ثوبا ثانيا يلبسه ويخرج به الى الناس حتى
ربما ترك الجمعه والجماعه لذلك وينشد في ذلك

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم ... لبسوا البيوت الى فراغ الغاسل

ويكفيك ان الامام الشافعي رضي الله عنه اقام بمصر اربع سنين
بعد خروجه من بغداد فرارا من فتنه القول بخلق القران
فما كان يجد ما ينفقه على نفسه الا ما تبرعت به السيده نفيسه
رضي الله عنها فانها جعلت له راتبا من مالها نفعنا الله بها
ثم قال ولقد بلغنا انه كان يطوف بالبيت الحرام ويقول
اللهم لا تخلني من ... ابدا وحقيقه الحال لا يجد الا
الكامل وكل محسود مبغوض فاما زمن الفاطميين بمصر
والشام فكان اشد سوا واعظم بليه وكان لا يعطي منهم بين
الا من وافقهم على الرفض والكفريات التي كانوا يحملون
الناس عليها فما نال عالم منهم رزقا قط بل يعد سلامته من
شرهم غايه الغنيمه فلما فرج الله على الناس بالملك نور الدين

ولما

بن ايوب ورأى ان يوقف من اراضي بيت المال طايفه للعلما
والطلبه والصوفيه والفقرا والضعفا وذوي الاسباب من
الاتراك والعجم وغيرهم ولم يكن احد سبقه الى ذلك فاستفتى
العلامه شهاب الدين ابن ابي عصرون وكان متصلا به معظما
عنده في المصلحه في ذلك لما فيه من ايصال حقوق هولا من
بيت المال اليهم على وجه مستمر او قريب من التيسير فافتاه
بجواز ما اراده على معنى انه ارصاد اي افراز ولم يقصد انه
حقيقي كعتق وقفها مالكها ورأى قول الفقها في باب السرقه
لو سرق احد مال بيت المال ان افرز لطايفه ليس هو منهم قطع
والا فلا فقال ان هذا الافراز لهولا الطوايف ونحوها ينزل
بالاتفاق ولا بعد ان يستعمل لفظ الوقف بمعنى الافراز
بالارصاد والاشتراك في معنى الامساك كما استعمل لفظ
الرهن فيمن وقف كتابا بشرط ان لا يعار الا برهن ويراد
به المعنى اللغوي لا الرهن الحقيقي فاستعمال الرهن هنا مجاز كاسم
الوقف هنالك ووافق ابن ابي عصرون على ذلك جم غفير
من فقها عصره نظرا الى هذا المعنى ووقف نور الدين
الشهيد كثيرا من اراضي بيت المال على جهات من الخير
بالشام ووقف صلاح الدين ابن ايوب كثيرا على الفقها
بالقدس ومصر والشام الى ان جا الملك الصالح فوقف
على مدرسته التي بمصر بين القصرين واسترسل الحال
فوقف على اولاده وامرايه واصحابه وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام
في زمنه فقال ان المعنى الذي افتى به ابن ابي عصرون قد زيد
عليه وتغير حاله فاستقر نظره على جوازه على المدارس
والربط وساير الجهات التي لها استحقاق في بيت المال وعلى
منعه من اولاد الملوك وامرايهم لانهم لا استحقاق لهم
في بيت المال بمرادهم ان فرض منهم من تحقق ارصادا ووسعه على
مدرسه يكفيها منها البعض ويجعل ما فضل لذريته فينبغي على
ان الوقف يصح في قدر المدرسه ويبطل في الذريه وهذا
في غايه التحرير ثم جاءت الدوله ... وتبعه الترك
ملوكها وامراوها من ذلك والله اعلم وقوله اول من رصد الخ

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)